تحولات المكان في مجموعتي (العربة والمطر) لـ (بديعة أمين) و (الفراشة) لـ (ميسلون هادي)

م.م.زينب عبدالرضا علي
معهد إعداد المعلمات/ ديالى/الصباحي

ملخص البحث:
يهدف البحث إلى دراسة التحولات المكانية في مجموعتين قصصيتين لكاتبتين عراقيتين:(بديعة أمين)،في مجموعتها(العربة والمطر)و(ميسلون هادي)في(الفراشة)،بهدف ملامسة فاعلية المكان في نصوص المجموعتين،وتحديد علاقتها الجدلية مع الشخصيات مؤثرة فيها،ومتأثرة.
وقد تبين أن التحول في دلالة المكان في نصوص المجموعتين كان يتبع بالدرجة الأولى الحالة النفسية للشخصية القصصية مع تدخل عناصر أخرى مثل:الحدث، والأحلام، والتأمل فضلاً عن عنصري الزمان والانسنة.
استعان البحث في فضاء تشكله النصي بالمنهج التحليلي لغرض الكشف عن الدلالات الكامنة في الفاعلية المكانية ،فضلا عن استعانته بمجموعة من المراجع السردية الخاصة بالنقد والله الموفق.

المقدمة

إن علاقة الإنسان بالمكان علاقة جدلية مصيرية وصلته به صلة ذات أبعاد عميقة، إذ ما من حركة في هذا العالم إلا وهي متصلة بمكان ، بل يصعب علينا تصور لحظة من لحظات وجودنا الإنساني خارج سياق المكان، فهو جزء لا يتجزأ من كل الموجودات، وحاضر بثقة في حركتها وسكونها . وعليه يمكننا القول : إنه ما من قرين للتجربة الإنسانية كالمكان . وقد ظل عنصر المكان على أهميته وجليل قدره في النصوص الأدبية سواء أكانت قصة أو رواية أو مسرحية أمدا طويلا غائبا عن أنظار الدراسات الأدبية والنقدية في عالمنا العربي تحديدًا . إذ لم يكن محط اهتمام إلا في العقدين المنصرمين على وجه التقريب . فقد انصب جل اهتمام الدراسات الأدبية على مكونات السرد الأخرى. فأخذت تولي كبير العناية بمنطق الأحداث ، ووظائف الشخصيات ، وزمن السرد وجماليات اللغة دون النظر الى ما هو ابعد من ذلك . فقد

غفلت عن التركيز على عنصر المكان وما يضطلع به من دور بارز ودقيق في تشكيل الفضاء الشامل في النصوص الأدبية من خلال تحديد موقع الشخصيات ورسم مواقفها وردود أفعالها ، ونمو الأحداث وتطورها . فهو المرتكز الأساس الذي ينهض عليه بناء القصة وبه تضمن تماسكها الفني. وعليه أصبح عنصر المكان في حاجة ماسة الى مزيد من الدراسة ومزيد من الرصد للكشف عن دلالاته وتحولاته بوصفة وسيلة يقدم من خلالها القاص مواقفه ورؤاه تجاه الواقع . الأمر الذي دفع بنا الى دراسة موضوع تحولات المكان في مجموعتين قصصيتين للكاتبتين العراقيتين بديعة أمين وميسلون هادي بهدف ملامسة فاعلية المكان في نصوص تلك المجموعتين. في علاقته الجدلية مع الشخصيات مؤثراً فيها ومتأثراً بها في كثير من الأحيان .

وقد انقسمت دراستنا على مبحثين خصص المبحث الأول لبيان مفهوم المكان وأنواعه بينما خصص المبحث الثاني لدراسة تحولات المكان في المجموعتين . ثم ختمنا دراستنا بأهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وبكشف بالمصادر والمراجع .

والأمل كبير بالله وتوفيقه في المسعى الذي بذلت والحمد لله أولاً وأخيراً .

المبحث الأول

مفهوم المكان وأنواعه:

أ – المكان لغة :

المكان في اللغة يعني الموضع لكينونة الشيء فيه [١]. وقد جاءت لفظة المكان في القران الكريم بصيغ مختلفة على وفق السياق القرآني[٢] . فجاءت بمعنى المنزلة في عدة آيات منها قوله تعالى ((وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً)) (مريم٥٧) وجاءت بمعنى الموضع أو المستقر في آيات أخرى نحو قولة تعالى ((وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ)) (يونس٢٢).

ب- المكان اصطلاحًا:

يولد الإنسان في هذا العالم وهو في رحلة مستمرة من مكان إلى مكان . فعالم الغيب مكان، والرحم مكان، واللحد مكان، والأرض التي خلق الإنسان من ترابها واليها يعود هي مكان. وعليه فالمكان "هو حاضن الوجود الإنساني وشرطه الرئيسي"[٣] وقد شغل المكان مجالاً واسعاً في الفكر الفلسفي فالمكان عند (افلاطون) غير حقيقي، وهو محل التغيير في الظواهر المحسوسة .[٤] وعده (أرسطو) " موجوداً مادمنا نشغله ونتحيز فيه ، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقل من مكان إلى آخر، وهو مفارق للأجسام المتمكنة فيه وسابق عليها ولا يفسد بفسادها"[٥] واتفق فلاسفة العرب من أمثال (الكندي والفارابي) على أن المكان سطح فالمكان هو "السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي" [٦]. وهو بعد متناه عند (الرازي) . وقد اخذ المكان في الفلسفة الحديثة مفهوماً خاصاً فهو عند (كانت) مرتبط بالعقل ، فالإنسان يخضع لتصور مسبق عن طبيعة المكان[٧].

أما نيوتن فيرى أن المكان موجود بذاته وغير تابع للعقل[٩]. وفي علم الاجتماع يرى (دوركهايم) أن المجتمع هو الذي يحدد مفهوم المكان من خلال الوسائط الاجتماعية التي يحيّاها الفرد لمعرفة حقيقة ما حوله[١٠].

لقد كان للآراء والنظريات التي قدمت في ميدان الفلسفة وعلم الاجتماع الأثر البالغ في الدراسات النقدية والأدبية التي انشغلت بدراسة العلاقات المكانية والزمانية بوصفهما أيضا مخزناً للأفكار والتجارب، البشرية ومن هنا رأينا (غاستوف باشلار) يؤسس رؤيته للمكانية في الأدب على انه مجموع الصور الفنية التي تثير الذاكرة وتعيد الماضي، زمن الطفولة ، او هو مجموع قيم متخيلة يختزنها العقل الباطن ثم تصبح هي القيم المسيطرة.[١١]

لقد ظل الاهتمام بعنصر المكان في الدراسات العربية متأخراً رغم ما حفلت به النصوص الإبداعية على مر العصور من دلالات متنوعة وغنية حول المكان . وقد يرد الحديث عنه بشكل عرضي عند بعض من اهتموا بدراسة مكونات السرد البنائية، الا ان هذا الأمر لا يتفق مع ما لعنصر المكان من أهمية بارزة في تشكيل النص السردي وفي تلقيه، وفي تحديد دلالاته الذهنية والشعورية . فهناك صلة وثيقة تربط الإنسان بالمكان ومن هنا يعد المكان مكوناً أساسا في العمل الأدبي "يجعل هذا المكون (المكان) يبدو كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على الأخر"[١٢].

أنواع الأمكنة:

للقصة القصيرة عناصر مهمة تتضافر وتتشابك لتخرج في النهاية هذه التركيبة الإبداعية الإنسانية ويعد عنصر المكان احد العناصر السردية المهمة فهو يمثل " الأرضية التي تشد جزيئات العمل كله ... فان وضح الزمن الروائي وان درس بعناية فهمت الشخصية" [١٣]. فإن كان بوسعنا أن نحدد الأحداث من خلال تأريخ "وقوعها في الزمان، فإن بوسعنا ايضآ أن نميز فيما بين الأشياء من خلال وصفها في المكان" [١٤]. وقد تباينت آراء النقاد والباحثين في تحديدهم لأنواع الأمكنة في الرواية وفي القصة وفي بيان دلالاته وابعاده على الشخصيات . وقد صنف بروب الأمكنة العامة الى ثلاثة أصناف وهي "المكان الأصل ، المكان الذي يحدث فيه الاختيار الترشيحي ، المكان الذي يقع فيه الانجاز او الاختيار الرئيسي" [١٥].

وانبثقت بعد دراسة بروب دراسات أخرى للمكان فهناك من درس المكان وفقاً لعلاقته بالشخصية مثل الدراسة التي قدمها (غاستوف باشلار) حول جماليات المكان فضلاً عن دراسة الروائي الانكليزي (دانيال ديفو) .

ومن المعلوم أن ابرز ما يحدد دلالة المكان في أي عمل قصصي هو طبيعة العلاقة التي تحكم الشخصيات القصصية وعلاقتها بالمكان داخل العمل الفني. وقد قدمت الدراسات النقدية العربية أنماطا للأمكنة ومنها الدراسة التي قدمها (غالب هلسا) اذ وضع المكان في أربعة أنماط متمثلة بالمكان المجازي أو المكان الافتراضي والمكان الهندسي فضلاً عن المكان المعيش والمكان المعادي[١٦].اما الناقد (ياسين النصير) فقد صنف المكان إلى ثلاثة أنماط وهي : "الأول :المكان المفترض :

ويشمل المكان اليوتيبي المفترض والمكان الاجتماعي المفترض والثاني المكان الموضعي والثالث المكان ذو البعد الواحد". [١١] في حين استخلص الناقد (شجاع مسلم العاني) أربعة أنماط للمكان خلال دراسته للرواية العربية في العراق وهي: المكان المسرحي، والمكان التاريخي، والمكان الأليف، والمكان المعادي.[١٢]

وهكذا تمايز الباحثون في رؤيتهم للمكان. فالمكان في العمل القصصي يتنوع وفقاً لتنوع الوظائف التي يقوم بها وتنوع علاقاته بشخصيات القصة.

ويعد أسلوب الوصف من أهم الأساليب المعتمدة في تحديد معالم المكان ونقل جزئياته وقد اهتم بلزاك بوصف المكان ، اهتماماً بارزاً، إذ " إن المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه ، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ومن جانب أخر إن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط به "[١٣] ولنا ان نقسم المكان وفقاً لرؤى الشخصيات في المجموعتين القصصيتين موضوع البحث إلى قسمين هما (١) المكان الأليف (٢) المكان المعادي.

المكان الأليف:

ونعني به المكان الذي يحس الإنسان إزاءه بالألفة والارتباط وهو "المكان المحبب الذي يشحن الذاكرة باستمرار بشتى الصور الباعثة على الحياة الإنسانية الدافئة" [١٤]. وقد يتمثل هذا المكان في البيوت والغرف التي نقطن فيها لان البيت كما يقول (باشلار):"يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية" [١٥].

وقد نبه (يوري لوتمان) إلى أن الشعور بالألفة لا يقتصر على هذا النمط من الأمكنة، فقط بل هو كل مكان سواء كان ضيقاً أو رحباً ، خاصاً أو عاماً ، قديما أو جديداً[١٦].ففي قصة "رائحة الشتاء" للقاصة (ميسلون هادي) تتوجه ذاكرة البطلة راوية القصة نحو المكان الأليف بيت الطفولة اثر رؤيتها لخزانة الملابس القديمة فهو المكان الحميم الذي يمنحها الإحساس بالارتياح والطمأنينة ويجعلها تحس بالتوهج والدفء بعد ان غاب عن بيتها جميع أفراد أسرتها فأصبحت أسيرة الإحساس بالوحدة والكآبة اذ تقول : "فتحت خزانة الملابس فداهمتني رائحة الخشب العتيق مختلطة برائحة عطر خفيف من ملابسي ..... عمر هذه الخزانة هو عمر زواج أمي من أبي ... وعندما تسربت أخواتي الواحدة بعد الأخرى ... تركن رائحتها لي أنا وحدي... تأز مصاريع أبوابها فتنتشر أمام عيني أبخرة الحمام الحار وهي تحيط كالهالة المضببة بأمي الجالسة على الدكة الواطئة تحممني وتغسل شعري الطويل ... ثم وهي تقودني الى نفس هذه الغرفة لتجفف الماء عن جلدي وتخرج من نفس هذه الخزانة ملابسي ولفاف الشعر... ثم تغلق بابها فينبعث نفس هذا الصرير... وتكون الغرفة دافئة واليفة تدخل من نافذتها رائحة الحطب المشتعل في موقد الحمام"[١٧].

تتجلى مشاركة حاسة السمع لحاسة الشم في تقديم صورة ذهنية للمكان الأليف إذ منحت الأفعال التي احتشد بها النص والمتمثلة بـ (تأز – تنتشر – تدخل – تحيط – تعود ...) إحساسا مفعماً بالحيوية والحركة داخل المنزل الى جانب الإحساس بالانشراح والطمأنينة. إلا أننا لا نجد ملامح المكان المادية ماثلة بشكل واضح فيها فلا يوجد وصف مستقل للمكان ، إذ يظهر المكان في ثنيات الصورة السردية بإشارات وصفية إجمالية .

ويعد المكان الذي يعيش فيه الشخص "مرآة لطباعه وسلوكه وتصرفاته اليومية ، ذلك انه يعكس حياة الشخصية التي تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط به" [٢٣]ففي قصة (طلب إجازة) من مجموعة (الفراشة) تشعر البطلة بالألفة والمحبة إزاء البيت ومحتوياته فهو المكان الذي تستأنس به وتلجأ اليه نتيجة إحساسها العميق بالملل والاختناق من روتينية العمل داخل المجلة التي تعمل فيها فضلاً عن صخب الحياة في الخارج إذ تقول : " بينما تكونون انتم في المجلة غارقين في بحر المناضد سأكون أنا تحت الغطاء ... استمتع بتلك الدقائق في الصحو اللذيذ ... سأرقب خلل النافذة الشمس الربيعية وهي تسقط شلالات النور الأبيض على الحديقة ... سأجد الفطور جاهزا على المائدة ... زوجي طيب للغاية ... سيترك لي مربى المشمش في طبق السيراميك الذي أحبه ... وقطعة الزبدة فوق شريحة من الخبز المحمص ... وسأفاجأ برائحة طيبة تملأ أرجاء المنزل موضوعة في المزهرية ... ثم انتبه الى أن غطاء المائدة هو الأزرق الموشى بالدانتيل الأبيض ... وسأستمتع بالصمت الذي يلف أرجاء المنزل ... وسأرقب مستطيل الضوء وهو يسطع" [٢٤].

فقد عكس المكان نفسية الشخصية وكشف عن هويتها من خلال علاقتها به ، فهي علاقة تؤطرها الألفة والمحبة تدل عليها الصور الاشراقية المتمثلة بـ (شلالات النور الأبيض، زهرات النرجس، الغطاء الأزرق الموشى بالدانتيل الأبيض، و مستطيل الضوء...) من هنا يكتسب المكان دلالته النفسية والجمالية ويعبر عن إحساس البطلة ورؤيتها الأليفة نحوه .

وفي قصة (النافذة) للقاصة(بديعة أمين)يظهر تعلق البطل راوي القصة بغرفة مكتبه تعلقاً شديداً ، وهو تعلق نابع من هوسه الأدبي ورغبته الملحة في ان يكون ادبياً ناجحاً ومعروفاً إذ يقول: "كانت غرفتنا تقدم لي كل لحظة ما يمكن أن يجعل مني الأديب الذي كنت احلم به ليل نهار ... لقد جعلتني غرفة مكتبي لا أحب الناس فقط ... أتسلل داخل جلودهم دون استئذان ودون أن أشعرهم بذلك ، فأحس بما يحسون وأنا قابع بصبر وراء نافذتي الحبيبة ... أصبحت من خلال أصدقائي الذين لم أراهم ولن أراهم إطلاقا ، كما يخيل لي ، ومن خلال غرفة مكتبنا ونافذتها ، أحب الحياة بكل ما فيها ... بخيرها وشرها"[٢٥].

ان علاقة البطل بالمكان ودية فغرفة المكتب ونافذته المشرعة على الشارع وحياة الناس فيه ، تبعث في نفسه الأمل في تحقيق ما يصبو اليه ونقله الى عالم أرحب، انها بالنسبة له عين على الحياة العريضة التي يتطلع إليها ويراها في حلمه ... وقد جاء وصف المكان فيما تقدم ملتحما بالسرد مكوناً ما يعرف بالصورة السردية .

ثانيا : المكان المعادي :

وهو المكان الذي يفتقر إلى مظاهر الألفة والحماية والدفء والطمأنينة وقد يكون وجود الإنسان في مثل هذه الأماكن قسرياً كالمعتقلات والسجون أو قد تشكل خطراً على حياته كأمكنة الحرب ، وقد تعمق فيه الإحساس بالوحدة والعزلة كأمكنة الغربة [٢٦]

ففي قصة (الرغبة الأخيرة) للقاصة (بديعة أمين) نجد هذا النمط من الأمكنة متمثلاً بالسجن الذي يقدمه لنا الراوي كلي العلم إذ يقول : "لقد كان دوماً يكره صرير الأبواب التي تئن بسبب الرطوبة كما كان يكره قطرات الماء المتساقطة من حنفية الماء بشكل رتيب و بإيقاع زمني متعادل. وكان يكره أيضاً دخان السكائر الكثيف الذي يذكره بأجواء هامشية بليدة ... إنه سيجن بالتأكيد إذا ما كتب عليه إن يكون أخر صوت يسمعه صرير المشنقة"(٢٧)

لم يفصح النص عن أي معنى للألفة بين البطل والمكان داخل المعتقل، فصرير الأبواب وإيقاع القطرات المتساقطة تبعث على الإحساس بالاختناق والرعب كما تشير إلى اقتراب البطل من الموت . فيتجلى اهتمام القاصة بالجو العام للمعتقل وانعكاساته على الشخصية مما يجعل المتلقي يدرك المكان ذهنياً مع غياب الوصف التفصيلي له .

وقد يفتقر المكان داخل القصة إلى كل ماله صلة بأسباب الاستقرار والأمان وتتمثل هذه الأمكنة.

بأمكنة الحرب والاقتتال كما في قصة (الوجه الذي فارق الزمن) للقاصة (بديعة أمين) يصفه الراوي قائلاً: "كان كل شيء يبدو عميقاً بلا نهايات ... الظلمة والوادي والغابات والسكون... وحتى الجبال كانت قممها في العلى تتجاوز مدى الرؤية لتتوغل في أعماق السماء بعد أن توقف أزيز الرصاص ... كان الهواء حاراً محملاً برائحة بارود كثيف... ارتطمت قدمه بشيء فيه ليونة...لم يكن هناك غير كومة من نثار دم متخثر ومزق لحم... شيء ما مثل انهيارات جليدية كان يتهاوى في صدره يتمزق... ينز قيحاً..."(٢٨)

فمن هذا المقطع تتراءى لنا مشاعر البطل ورؤيته المعادية للمكان وحالة التعب والإجهاد النفسي الذي يعانيه فبدت له (الغابة والظلمة والسكون والوادي وحتى الجبال) على غير ما الفته عيناه ، دلالة على هول المعركة وشدتها.

وقد بات المكان/ البيت في قصة (الذي عاد) للقاصة (ميسلون هادي) يفتقر إلى أسباب الحياة بعد أن طال انتظار الأسرة لعودة ابنهم من ارض المعركة إذ يصفه الراوي المشارك قائلاً : "كان البيت مظلماً فازداد ظلاماً ... وكان كلامنا مقتضباً فآل إلى الصمت الوجل المطبق ... كان كل شيء داخلنا يتضور ويؤول إلى أموات ... حتى رأتك أختك وصاحت بنا صيحة الحياة"(٢٩)

لقد جاء وصف المكان ممتزجاً بأحاسيس الراوي، فيظهر إسقاطه الذاتي عليه ، فكان وصفه انطباعياً ممتزجاً بالسرد ، فظلام البيت وصمته يوازيان الإحساس بالموت فتناثرت دلالات نفسية وحسية (الظلام والصمت والموت – المطبق) تشير الى تأزم الوضع النفسي والإحساس بعدم الطمأنينة .

المبحث الثاني

تحولات المكان في المجموعتين :

قد يتحول المكان الأليف إلى مكانٍ معادٍ فكما هو معلوم إن قيمة المكان تكمن في مدى ارتباطه مع الشخصية والحدث على نحو يجعل من المكان مكوناً مهماً من

مكونات السرد في العمل القصصي . فاعلاً ومتفاعلاً في الآن نفسه . ونحن قد نجد التحول في دلالات المكان لدى بعض شخصيات القصة وهو تحول قد أكد عليه (باشلار) في دراسته للمكان ، حين دعا الى استكناه جميع الظواهر الحسية والشعورية والنفسية التي تتضح خلال احتضان المكان للإنسان ، إذ حاول تحديد الأسباب التي تدفعنا للالتصاق بمكان ما والفته أو معرفة الإحساسات التي تتجلى في كره مكان أو مقته. (٣٥) فتبرز التحولات . في المكان من خلال :

١. الحالة النفسية للشخصية القصصية :-

تجدر الإشارة الى أن دلالة المكان تتبع بالدرجة الأولى الحالة النفسية للشخصية القصصية . ففي قصة (علاقة إنسانية) للقاصة (بديعة أمين) يكتسب مكان العمل طابعاً عدائياً في نظر البطلة لما يحمله من أمور روتينية تثقل من إحساسها بانتقاص حريتها وما تطمح إليه من كسر لحواجز التهميش والتغييب وهو أمر ينقله لنا الراوي قائلاً : "كانت تحس إحساساً غريباً يضعها في طابور سجناء يشبكون أيديهم فوق رؤوسهم ، ويلفها صمت موحش أمام ناظر السجن الذي يعدهم فرداً فرداً ليتأكد أن أحداً منهم لم يهرب خلال الليل ...أمام سجل الحضور، فإنها ببساطة تتحول من إنسان يعتقد البعض أنه أثمن رأس مال في الوجود... الى ماكنة"(٣٦).

وتتحول علاقة البطلة بالمكان الى علاقة ودية بعد أن استأذنها سائق الباص بدفع أجرة احد الركاب الأمر الذي عمق من إحساسها بالسعادة وبقيمتها في المجتمع "كانت تخشى أن تنزلق تلك الضحكة الصامتة من بين شفتيها ... خيل إليها ان عينيها ربما كانت تعكسان بريقاً يملأ الغرفة كلها ... كانت تتمنى لو استطاعت ان تسكت ذلك الصخب المتألق في أعماقها... "(٣٧)

لقد انعكس إحساس البطلة بالسعادة ايجابياً على المكان فالإنسان وفي لحظات سعادته الغامرة يتألف مع الأماكن التي يسكنها أو يذهب إليها . وقد جاء تركيز القاصة على الشخصية وما ينتابها من إحساس داخل المكان دون الالتفات إلى ملامح المكان وتفصيلاته المادية .

ومن المفترض أن يكون البيت مكان إقامة اختيارية ، يمنح قاطنه الطمأنينة والأمان، ويخلع عليه الألفة والحميمية ، مما يؤمن له الإحساس بالحماية ، ويدرأ عنه الشعور بالاغتراب بيد انه يتحول احياناً الى مكان معاد كما في قصة (النافذة) للقاصة (بديعة أمين) التي يعاني فيها البطل من آلام وأحزان تعود الى تسلط والده وقسوته عليه أيام طفولته بعد أن عبث دون قصد منه بأوراق عمله فتبدو رؤيته المعادية نحو المكان اذ يقول : "عادت أمي بعد قليل والرعب يلفها كعباءة سوداء... لتبلغه بأنها قد أفرغت الغرفة من كل ما فيها... دفعني بعنف داخل الغرفة... وخرج ... ثم عاد بكرسي خيزراني ومنضدة صغيرة... وبعد أن أغلق الباب وراءه... سمعت صوت المفتاح وهو يدور في فتحته ... بقيت حيث تركني فيها كانت رعدة لاهثة تهز جسدي... تكومت بعدة مدة حسبتها دهراً في زاوية من الغرفة ... غير أن الخوف من أن يخرج من أرضها أو جدرانها شيء ما ... عقرب أو سعلاة لتلتهمني ... لقد امتدت الحياة بأعماق مظلمة لانهائية في رحم تلك اللحظة حتى نور الشمس انطفأ كلياً" (٣٨).

فمن ابرز ما يحدد دلالة المكان في أي عمل قصصي هو طبيعة العلاقة التي تحكم الشخصيات القصصية . فالعلاقة المتوترة بين أفراد الأسرة والتي سببها دكتاتورية والده أثرت سلباً على نفسية البطل فمشاعر الخوف التي يقاسيها زادت من إحساسه بظلمة الغرفة فكان المكان مرآة عاكسة لدخيلة الشخصية القصصية وهكذا تحول المكان الأليف بفعل الحدث المتمثل بحبس البطل داخل الغرفة من مكان جميل وحميم الى مكان معاد كل ما فيه يثير الحزن والكآبة .

وفي قصة (الذي عاد) للقاصة (ميسلون هادي) يتسبب طول المدة التي قضاها البطل بعيداً عن أسرته في رؤيته المغايرة للبيت الذي يقدمه لنا الراوي قائلاً : "انتشرت في الجو رائحة ملابسه العسكرية كان الجميع ملتفتين اليه وهو يتلفت فيما حوله يتفحص بعينيه البيت ... أحس أن المكان أضيق قليلاً مما تركه وان لون الجدران أعمق مما في ذاكرته ... وبدت له درجات السلم متفارقة عن بعضها أكثر مما يجب ... فقال لنفسه : ربما لاني وخلال ثلاث سنوات قد أضفت لبيتنا في مخيلتي سعة ورحابة لا وجود لهما"[٣٤]

فالمشاعر التي يكابدها البطل زادت من إحساسه بضيق المكان ومحدوديته مما يدل على ان " إشكالية الانغلاق والانفتاح فيه لا تكمن في تصميمه ولا في موضعه من المدينة فحسب، بل تتعدى ذلك الى المشاعر والأحاسيس والوجدانات والأفكار التي تغدق على ردهاته" [٣٥].

لذا لاغرو أن يبدو البيت قصراً في نظر الشخصية السعيدة ووكراً في نظر الشخصية الحزينة .

٢. الأحلام :

لكن البيت يبدو قادراً بالمقابل على أن ينفتح بمساحته المحدودة وينتقل بقاطنيه الى عوالم وردية فيتحول من مكان ضيق ومعاد إلى مكان أليف ورحب عن طريق التأمل أو التخيل أو التذكر أو الأحلام [٣٦].

ففي قصة (الذي عاد) للقاصة (ميسلون هادي) تكون حديقة المنزل مكاناً أليفاً للبطل يستعيد ذكرياته عنها " فنظر باتجاه الشجرة المحاذية للسياج وغرق في التفكير وكأنه يحاول استرجاع شيء ما قد غاص في قيعان الذاكرة حتى تراكم عليه طين السنين وأخفاه عن النظر ... ثم صاح فجأة بفرح ... أهي نفسها التي زرعتها أنا ؟

فقالت الأختان: ....

- نعم

- نعم ... هي

فأعاد ذلك له دفعة واحدة ذكريات السنين التي قضى معظمها بين أشجار هذه الحديقة وزواياها مع كتبه أو مع قفص العصافير ... وحول نظره عن شجرة المطاط ومر به على الخط المربع للشجرات واحدة واحدة ... النخلة ... وصف أشجار البرتقال ... ثم النخلة ... ثم أشجار الالنكي .... ثم النخلة" [٣٧]وبذلك تعيد الذكريات الى الشخصية توازنها النفسي وتخفف عنها وطأة الإحساس بالاغتراب والضيق إزاء المكان .

اما في قصة (الفراشة) للقاصة (ميسلون هادي) فان أحلام اليقظة هي التي تخلع على المكان صفة الألفة والانفتاح . فالأم ترى ولدها المريض بالقلب في حلم يقظة "وتراءى لها الحلم مرة أخرى كما لو انه حقيقة : كان ابنها يقف بين بابين متقابلين ... وكانت احدى هاتين البابين مفتوحة وهو يقف بالقرب منها دون أن تكون هناك تحت قدميه ارض ... وحده كان بين صفي البيوت المتقابلة في الزقاق العائم في الفضاء ، يمسك شبكة صغيرة ويحاول اصطياد فراشة كبيرة تحوم حوله ولوهلة أوشكت الأم أن تطلق أسار صوتها ليصبح اسم ابنها مسموعا وموجوداً وجود قلبه الذي ربما أحس بها في تلك اللحظة واقفة بقربه" (٣٨).

إن وجود الابن عائما في الفضاء يعد معادلاً موضوعياً لتأرجح حالته في الحقيقة بين الحياة والموت الى أن تستقر حالته وتعود اليه الحياة من جديد .

٣. والأنسنة :

تشكل والانسنة إحدى "أهم جوانب التحول في دلالة المكان ولا سيما من الناحية التقنية ، فقد غلبت في القصة الحديثة نتيجة طبيعية لما امتازت به من إحساس عال بالمكان ، إذ لم يعد ذكره ثانوياً كما كانت الحال سابقاً ، بل صار مكوناً أساسيا وأكثر حميمية ، يحمل ذكريات الماضي وطموحات المستقبل" (٣٩).

مما اكسب المكان أهمية بالغة ، فترى الشخصيات القصصية تتعاطف معه ، فتحاوره وأحياناً تتماهى معه ، فتضفي عليه من مشاعرها ، فيتجسد فرحها في سكينته ونقاؤه وحزنها في غضبه وظلامه.

ففي قصة (أغنية للبحر) للقاصة (بديعة أمين) يشعر البطل وكأن البحر إنسان وهو يقف عند صخرته فيتطلع اليه ويحاوره لساعات اذ يقول الراوي: "يجلس ساعات عند الصخرة الشهباء المندفعة من الأعماق يحاور البحر بصمت كعاشق ... وإذ تعانق الشاطئ، كانت مياه البحر تداعب قدميه ... تضربه موجة شقية ... تغمره بزبدها الأبيض اللآلئ فتنطلق من أعماقه شهقة حب وجل ... آه يا بحركم احبك ... لكني أخافك يا بحر... غير إني سأتعلم السباحة حين اكبر ... أغوص عميقاً في مياهك لأرى صورتك الجميلة"(٤٠).

لقد بدت أمواج البحر ذات مشاعر إنسانية وهي تداعب قدميه وتضربها ، إلا أن غضب تلك الأمواج وهي تقترب من الشاطئ والقائها بجسد صديقه (سلطان) الذي أحب هو الأخر البحر، وراح يبحث عن الحورية في أعماقه فغرق، حول تلك الألفة والمحبة إلى عداء فغطى المكان الحزن والظلام "أقول لجدتي إني لم أرَ في البحر سلطاناً ؟ إني لم أر شيئاً غير الظلام ؟! و أين مرجانك يا بحر ولؤلؤك ... وحورياتك الجميلات ... اه يا بحر كن هادئاً ... هادئاً وترفق بي"(٤١).

تتجلى مشاعر الشخصية وخلجاتها الذاتية مفعمة بالحزن فكما هو معلوم أن "الحياة الكئيبة أو الشخص الكئيب يضفيان على الكون من كابتيهما ، لان الأشياء المادية تصبح تجسيداً للحزن أو للندم أو للحنين"(٤٢).

٤. الزمن :

ثمة علاقة تأثير وتأثر بين الإنسان والزمن واستمرارية هذه العلاقة منحت الزمان معنى إنسانياً ، فأصبح الزمان جزءاً مهماً من الخبرة الإنسانية . كما ان التغيرات التي تطرأ في واقعنا الإنساني تعود الى الزمان[٤٣].

ومن الجدير بالذكر أن إحساس الإنسان بالزمن يتضاعف في الظروف المريرة وفي حالات الانتظار وينعكس ذلك الإحساس على المكان فتتغير دلالته لان "إسقاط الحالة النفسية للإبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسط يؤطر الإحداث انه يتحول في هذه الحالة الى محاور حقيقي ويقتحم عالم السرد محرراً نفسه هكذا من أغلال الوصف"[٤٤].

فقصة (النافذة) للقاصة (بديعة أمين) تظهر ثقل جثمان الزمن على نفسية البطل وانعكاسه على المكان اثر عودة والده من السفر ، ومعرفته بأمر الأوراق التي عبث بها في غيابه "اتجه فوراً وبسرعة غير اعتيادية الى غرفته ... تبعته والدتي ... وبقيت أنا خارج الغرفة منزوياً في مقعد اكبر حجماً مني بكثير ... وعلى خلاف أحاسيس الفرح التي كان يمنحني إياها ذلك المقعد الرحيب ، حيث كان يوفر لي مجالاً كبيراً للحركة جلست عليه ذلك اليوم الذي عاد فيه أبي بصورة غير متوقعة بصمت مثل خيمة نصبت في صحراء بعيدة لا ينبت فيها زرع ، تسوح فيها بغير اكتراث كثبان من الرمل ... كان الزمن طويلاً ... طويلا جداً قبل أن يفتح باب الغرفة ليطل رأس أمي ... توقع وجل كان يبطئ صوتها حين نادتني ، سرى الخوف الخفي إلي ايضآ ... مشيت ببطء نحو الغرفة ... ولم أكد اجتاز العتبة حتى بادرني أبي بصوت كان مزيجاً مستبداً محققاً راعدا وطاغياً...." [٤٥]

فالمكان كما تبين يتحول الى مكان معاد وإحساس البطل به يتضاعف ويزداد قسوة بفعل إحساسه المرير بالخوف فيبدو الزمن طويلاً جداً فالمكان في هذه الحالة يغادر موقعه الجديد التقليدي كديكور ويصير عنصراً فاعلاً يعبر عن نفسية البطل . وهكذا نلحظ أن تحولات دلالة المكان في المجوعتين القصصيتين (العربة والمطر) و (الفراشة) كانت تتبع بالدرجة الأولى من الحالة النفسية للشخصية القصصية فهي التي تحدد كونه مكاناً أليفا أو معادياً بيد أن ذلك يكون بتدخل عناصر أخرى هي الحدث والأحلام كما في قصة (النافذة) للقاصة (بديعة أمين) وقصة (الذي عاد والفراشة) للقاصة (ميسلون هادي) . وعنصر الزمن كما في قصة (النافذة) و (والانسنة) كما في قصة (أغنية للبحر) .

الخاتمة:

وبعدما تم عرضه من دراسة للقصص القصيرة التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا لإبراز التحولات في دلالة المكان يمكن لنا أن نوجز أهم النتائج التي توصلنا إليها بالآتي:

١. إن دلالة المكان وتحولاته تتبع بالدرجة الأولى الحالة النفسية للشخصية القصصية فهي التي تحدد كونه مكاناً أليفاً أو معادياً .

٢. تتضافر عناصر أخرى في بيان التحولات المكانية ومن ضمنها الحدث والأحلام كما في قصة (النافذة) لـ (بديعة أمين) و (الذي عاد والفراشة) لـ (ميسلون هادي).
٣. تشكل والانسنة إحدى أهم جوانب التحول في دلالة المكان ولا سيما من الناحية التقنية كما نلحظ في قصة (أغنية للبحر) لـ (بديعة أمين) .
٤. يتدخل عنصر الزمان مع المكان في بيان التحولات المكانية ، فإحساس الإنسان بالزمن يتضاعف في الظروف المريرة وينعكس بدوره على المكان فتتغير دلالته .
٥. تركيز القاصتين على الشخصية القصصية وما ينتابها من أحساس داخل الأمكنة مع قلة الالتفات الى ملامح المكان وتفصيلاته المادية.

وختاماً فإن دلالة المكان تخضع لتحولات مباشرة تحدثها الشخصيات القصصية وحدها، وغير مباشرة تكون نتيجة حتمية لأثر العناصر الأخرى التي جئنا على ذكرها في الشخصيات.

Abstract

The research aims to study the transformations of spatial in two story to two battalions IRAQIS: (Badia Amin), in group (Alaraba oal matar) and (Maysaloun Hadi) in the (Alfarasha), in order to contact the effectiveness of place in the texts of the two groups, and determine its relationship with controversial with the characters moving in,and influenced by .

It was found that the shift in the significance of place in the texts of the two groups was followed primarily the psychological state of personal stories with the intervention of other elements such as: Event, dreams, and meditation as well as elements of time andhumanism.

Used in the search space script posed analytical method in order to detect signs inherent in the spatial efficiency, as well as employing a set of references on narrative criticism and God bless.

الهوامش

() ينظر: لسان العرب، ابن منظور مادة (مكن): ٥١٦.
() ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي: مادة (مكن): ٦٤١.
() جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، د. عبدالحميد المحادين: ٢٠.
() ينظر: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، علي عبدالمعطي محمد : ١٢٤.
() المكان في النص المسرحي، منصور الديلمي: ٢٤.
() موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية ، التهاوني: ١٢٧٧.
() ينظر موسوعة الفلسفة، د. عبدالرحمن بدوي، ج٢: ٢٤٠.
() ينظر: الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز: ٨٦.
() ينظر: علم الاجتماع والفلسفة، قباري محمد إسماعيل، ج٢: ٥٥.
١٠() ينظر: جماليات المكان، غاستوف باشلار: ٣١.
١١() الفضاء الروائي في الغربة – الاطار والدلالة، منيب محمد البوريمي: ٤٥.
١٢() الرواية والمكان، ياسين النصير: ٦.
١٣() البنية السردية في شعر يوسف الصائغ (مقاربة نقدية)، محمد أحمد عبدالوهاب الشديدة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٢: ٤٥.
١٤() مدخل إلى نظرية القصة، تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي وجميل شاكر: ٦١.

١٥() ينظر الرواية العربية واقع وآفاق، محمد برادة وآخرون: ٢١٧.
١٦() الرواية والمكان: ٣٠ وما بعدها.
١٧() ينظر البناء الفني في الرواية العربية في العراق، (الوصف وبناء المكان)، د.شجاع مسلم العاني، ج٢: ٣١ وما بعدها.
١٨() بناء الرواية، سيزا قاسم: ٧٤.
١٩() المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، حيدر لازم، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧: ١٢٥.
٢٠() جماليات المكان: ٣٧.
٢١() ينظر: مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف باء، ع٦، ١٩٨٦: ٣٥.
٢٢() الفراشة: ٢١.
٢٣() غائب طعمة فرمان روائياً (دراسة فنية)، د. فاطمة عيسى جاسم: ١٦٢.
٢٤() الفراشة: ٨١.

(٢٥) العربة والمطر: ٣٨، ٣٩.
(٢٦) ينظر: الرواية العربية واقع وآفاق: ٢٢٦ ؛ ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، (الوصف، وبناء المكان)، ج٢، ١٢٩.
(٢٧) العربة والمطر: ١٩.
(٢٨) نفسه:٢٦.
(٢٩) الفراشة: ٩
(٣٠) ينظر: جماليات المكان: ٣٣ وما بعدها.
(٣١) العربة والمطر: ٨
(٣٢) نفسه: ٥.
(٣٣) نفسه: ٤٤-٤٥.
(٣٤) الفراشة: ٨.
(٣٥) أطياف الوجه الواحد (دراسات نقدية في النظرية والتطبيق)، نعيم اليافي: ٢٦٨.
(٣٦) ينظر: النقد الادبي العربي الجديد في (القصة والرواية والسرد)، د. عبدالله ابو هيف: ١٤٦.
(٣٧) الفراشة: ١٢.
(٣٨) نفسه: ٣٧.
(٣٩) جماليات المكان في الادب العربي المعاصر، فاطمة المرنيسي، مجلة الدوحة، ع١٧، ٢٠٠٩: ٥.
(٤٠) العربة والمطر: ٩٧-٩٨.
(٤١) نفسه: ١٠٠.
(٤٢) جماليات المكان: ٤١.
(٤٣) ينظر: تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري:٥.
(٤٤) بنية النص السردي في منظور النقد الادبي، حميد الحمداني: ٧١.
(٤٥) العربة والمطر: ٤١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أطياف الوجه الواحد (دراسات نقدية في النظرية والتطبيق) ، نعيم اليافي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٧ .
٢. بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ،سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د. ط ، ١٩٨٤ .
٣. البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) ، شجاع مسلم العاني، ج٢ ، طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ٢٠٠٠ .
٤. البنية السردية في شعر يوسف الصائغ (مقاربة نقدية) ، محمد احمد عبد الوهاب الشديدة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢ .
٥. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد الحمداني ، ط ٢، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣ .
٦. تيار الوعي في الرواية الحديثة ، روبرت همفري ، ترجمة محمود الربيعي ، دار المعارف القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٥ ،
٧. جدلية المكان والزمان والانسان في الرواية الخليجية ، د. عبد الحميد المحادين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ .
٨. جماليات المكان ، غاستوف باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ .
٩. جماليات المكان في الادب العربي المعاصر ، فاطمة المرنيسي ، مجلة الدوحة،ع١٧، ٢٠٠٩ .

١٠. الرواية العربية واقع وافاق ، محمد برادة واخرون ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .
١١. الرواية والمكان ، ياسين النصير ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
١٢. العربة والمطر ، بديعة امين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٥
١٣. علم الاجتماع والفلسفة ، قباري محمد اسماعيل ، ج٢ دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط٢ . د . ت .
١٤. غائب طعمة فرمان روائياً (دراسة فنية) ، د. فاطمة عيسى جاسم ، ط١ ، بغداد، ٢٠٠٤ .
١٥. الفراشة ، ميسلون هادي ، طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦
١٦. الفضاء الروائي في الغربة (الاطار والدلالة) ، منيب محمد البوريمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، مشروع النشر المشترك ، سلسلة كتاب الجيب ، بغداد .
١٧. الفيزياء والفلسفة ، جيمس جينز ، ترجمة د. جعفر رجب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .
١٨. قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، علي عبد المعطي محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٩٨٤ .
١٩. لسان العرب المحيط ، لابن منظور ، اعاد تصنيفه يوسف الخياط ونديم المرغسلي ، تقديم العلامة عبد الله العلالي ، دار لسان العرب بيروت ، د.ت.
٢٠. مدخل الى نظرية القصة ، تحليلاً وتطبيقاً ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
٢١. مشكلة المكان الفني ، يوري لوتمان ترجمة سيزا قاسم ، مجلة الف باء ، ع ٦ ، ١٩٨٦ .
٢٢. المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥ .
٢٣. المكان في الشعر العربي قبل الاسلام ، حيدر لازم ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٨٧ .
٢٤. المكان في النص المسرحي ، منصور الديلمي ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٩ .
٢٥. موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ، التهاوني ، مطبعة الخياط ، بيروت د . ت.
٢٦. موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ج٢ ، ط١ ، ١٩٨٤ .
٢٧. النقد الادبي العربي الجديد في (القصة والرواية والسرد) ، د. عبد الله ابو هيف ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠.